الحسد (٤)
المعنى .. الأسباب .. المعالجة

محاضرة لفضيلة الشيخ سليمان المدني
اعداد:
عبدالرضا هارون

تحدث فضيلة الشيخ سليمان المدني حفظه الله في الحلقة الماضية عن رغبة الحاسد في اخضاع القدرة الالهية لرغبته في تغيير النعم التي وزعت بحكمة وميزان دقيق بين البشر وما ينتج عن ذلك من الشواغل التي تصرف الانسان عن تحصيل الكمالات النفسية والسمو الروحي ويواصل فضيلته الحديث عن منشأ الحسد عند علماء الدنيا والمقاصد والزخارف الدنيوية التي يتكالب عليها الناس وأخطرها حب الزعامة وخفق النعال.

○ الشيخ سليمان المدني ○

العالم عندما يجد أن مجموعة من العلماء قد توصلت مثله الى ادراك الحقيقة تشتد لذته لذلك لأن احتمال خطأه في ذلك الادراك يتضاءل فطبعا بسبب ذلك لايقع التحاسد بين علماء الآخرة أبدا، وكذلك الذي يدرس العلم للتقرب لله سبحانه وتعالى، فالقرب من الله سبحانه وتعالى ليس حيزا محدودا اذا وصله انسان منع منه الآخر وكذلك درجات التقرب ليست ضيقة بحيث اذا وصل انسان لهذه الدرجة امتنع على غيره أن يصل اليها، وقابل لكل البشر منذ آدم عليه أفضل الصلاة والسلام الى آخرهم أن يصلوا بحسب جهدهم واخلاصهم الى مرتبة واحدة من القرب الى الله سبحانه وتعالى، اذ أن القرب منه ليس فيه ضيق حتى يحصل التزاحم والتحاسد.

فاذن علماء الدنيا يتحاسدون كما يتحاسد سائر أهل الدنيا لأن نعمها محدودة ضيقة اما علماء الآخرة فلا يتحاسدون فاذا أراد الانسان ان يتخلص من الحسد عليه أن يوجه همه الى هدف لايضيق بسائر الناس حتى لاتحصل المزاحمة بينه وبين غيره من الناس وهذا أنجح العلاجات التي نطرحها لعلاج الحسد فاذا استطاع توجيه همته بأن يجعل هدفه لايضيق بسائر خلق الله لا اشكال انه يتخلص من الحسد، وهذا بطبيعة الحال يكون لمن مرّ بخطوات علاج نفسي وخلقي.

قلنا فيما سبق ان الحسد أصله مد العين الى ما أنعم الله سبحانه وتعالى على بعض خلقه أو تمنى ما فضل الله به على بعض خلقه وبذلك ورد النهي عن ذلك في القرآن الكريم عن هذين الأمرين فقال سبحانه وتعالى ﴿ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ وفي آية أخرى قال سبحانه وتعالى ﴿ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ فتمنى ما عند الغير ومد العين الى ما في يد الغير من النعم والخيرات هو أصل الحسد وقلنا ان الحسد لايمكن ارجاعه الى قوة واحدة من قوى النفس اذ أن المقاصد التي يتنافس الناس عليها ويتحاسدون ويتغابطون عليها ليست كلها من باب واحد وليست كلها من نوع واحد، فبعض هذه الأمور ترجع الى الشهوة وحب النساء والأولاد والأموال والحرث والخيل المسومة وغيرها من سائر الأموال التي

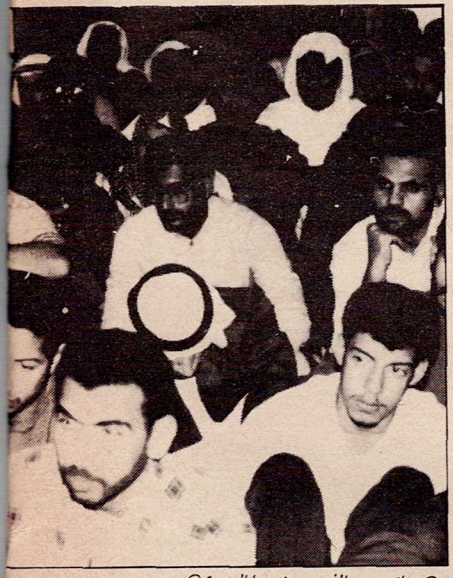

○ جانب من الذين حضروا الندوة ○

* درجة القرب من الله سبحانه وتعالى ليست ضيقة حتى يتحاسد العلماء عليها

*على الانسان في الدنيا أن يختار هدفا يتسع لكل الناس كي يتجنب الحسد

يتكالب عليها، ومن المقاصد ما لا يعود الى هذه الناحية وانما يعود الى الجهة الروحية وهي طلب الرفعة والسمو على الأقران والأقرباء كحب الجاه والزعامة

والرئاسة والمنزلة والى غير ذلك وهذه في الحقيقة لاتعود الى القوة الشهوية البهيمية وانما تعود الى الناحية الروحية عند الانسان، فان الناحية الروحية وإن كان أصلها من روح الباري سبحانه وتعالى حيث قال جل وعلا في القرآن الكريم ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ الا انها بعد صيرورتها ملكة وقدرة بشرية تدخل ضمن القدرات البشرية والغرائز البشرية الأخرى فاذا لم يتم ضبطها بالضابط الشرعي وطريق الحق فانها تفلت ويستغلها الشيطان ويجعلها أشد من سائر القوى الحيوانية المودعة في الانسان فان هذه القوة لاتقف عند حد طلب الرفعة والمنزلة والزعامة وانما قد ترسل صاحبها الى أن يدعي مقولة انا ربكم الأعلى كما قال فرعون عليه اللعنة.

بعض أنواع الحسد انما يأتي من هذه القوة وربما يكون الحسد بين العلماء أو الحسد بين الحكام

والسلاطين يرجع الى الى هذه القوة أكثر من رجوعه الى القوة الشهوية البهيمية، انك تجد ان الانسان يكون زاهدا في المأكل والملبس والمشرب والمال والنساء وكل شيء ولكنه لايبالي أن يفعل أي شيء من أجل أن يكون سيدا وزعيما ورئيسا مطاعا وغير ذلك، بطبيعة الحال هذه القوة لاعلاقة لها بالناحية الشهوية وقسم كبير من مقاصد الدنيا يرجع الى هذه القوة لذلك يقول الامام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه «اذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وأطال صلاته وهو يطلب المال فاذا

عفى عن المال فلا تقولوا نعم الرجل ولكن جربوه في النساء فربما حسن الرجل سمته واطال صلاته وزهد في المال ولو وجد أمة سوداء لأوقع نفسه عليها، فاذا وجدتموه قد عفى عن النساء فلا تقولوا نعم الرجل ولكن جربوه في طلب الرئاسة والزعامة فربما حسن الرجل سمته وأطال صلاته وزهد النساء وزهد المال وهو يطلب الامارة والرئاسة، فاذا رأيتموه قد عفى عن طلب الرئاسة فقولوا نعم الرجل».

ومن خلال هذه المقالة الشريفة للامام عليه أفضل الصلاة والسلام يتضح ان النفس البشرية تتفاوت في المشتهيات والأغراض الدنيوية، وقد ورد في التاريخ ان رجلا من المؤمنين دخل على أحد الأمراء في قصره فوجده يتغذى بقرص شعير يابس فقال له انك تتظاهر بالزهد امام الناس من أجل امرة المؤمنين ولكنك وانت في قعر دارك تعيش على الخبز اليابس فقال الملك ان ذلك هو الذي أوصلني الى الرئاسة

فهو يحتاط حتى في قصره ولا أحد يستطيع مشاهدته، ولما كانت الزعامة والرئاسة في نظر المسلمين دينية ومقترنة بالزهد في الدنيا لابد وان يتظاهر بالزهد فيها وينسى عامة الناس. ان الزهد في الدنيا ليس هو الزهد في المأكل الحلال ولا في الملبس الحلال ولا في المسكن الحلال ولا في الزوجة الحلال وانما الزهد في الدنيا هو الزهد في الرئاسة.

وبعد الفراغ من المحاضرة تفضل الشيخ بالاجابة على أسئلة الحضور نذكر المهم منها:

■ هل يجوز حسد الكافر المحارب؟

□ نعم يجوز حسد الكافر المحارب لانه يحارب بالمسلمين وانقلب عدوا لهم ولاشك ان العدو المحارب لايمكن نهيه وبالتالي يجوز تمني انكسار المحارب وأحب أن أشير هنا الى ان حسد الكافر لايتأتى بالتمني النظري وانما يكون بالفعل وتجهيز الجيوش واعداد العدة لذلك. قال سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ لا أن يجلس في بيته مرتاحا ويتمنى انكسار جيوش الكفر فان هذا العمل لاقيمة له ولا يغير من واقع الكفار أي شيء.

■ هل يمكن اعتبار الطموح أحد مراتب الحسد؟

○ لايمكن اعتبار الطموح حسدا فلك أن تطمح لأن تكون عالما أو تاجرا أو مفكرا أو غير ذلك من جوانب العلم والمعرفة وليس ذلك من مراتب الحسد ولكن أن تتمنى أن تكون مكان العالم الفلاني أو التاجر الفلاني أو المخترع الفلاني فهذا يعتبر حسدا، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ولا تمد عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ فالبداية هي مد العين الى زيد أو بكر ويتمنى الانسان أن يكون مثله ثم يتمنى أن يكون مكانه ثم يتمنى زوال النعمة منه وان تتأتى اليه يتمنى أن تزول من فلان ولو لم تأت اليه أصلا.

■ ذكرتم ان الحسد يعتبر نوعا من أنواع الجنون فكيف يحاسب الله سبحانه وتعالى عليه؟

○ نقول ذلك لأن ليس كل المجانين لايحاسبهم الله بل ان الذي لا يحاسب هو المجنون فاقد عقل التمييز وليس المريض النفسي.

■ هل للوراثة دور في الحسد بأن يكون الأب حسودا فيصبح الابن كذلك؟

○ الوراثة ليس لها دخل في عملية الحسد حاشا لله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك من الانسان فطريا لايستطيع التخلص منه.

■ هل الحسد من ابليس أو من الانسان؟

○ الحسد من النفس فحسد ابليس من ابليس وحسد الانسان منه وان الله أول ما عصى بالحسد في السماء وأول معصية في الأرض كانت بالحسد، حيث حسد ابليس آدم فأخرجه من الجنة وأصبح ابليس عدوا لله، وحسد قابيل هابيل فطرد من رحمة الله وأصبح عدوا له، فواحد من الانسان وواحد من ابليس.

(يتبع العدد القادم)